# سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

## ❁ التَّعريف العامّ بالسّورة:

سورةُ إبراهيمَ مكيَّةٌ بالإجماعِ، مع وجود بعض أقوال في مكية الآيتين (28- 29)[1].

وسورةُ إبراهيمَ هي السّورةُ الرّابعةَ عشرةَ من حيث ترتيبُها في المصحفِ الشّريفِ بعد سورة الرّعدِ وقبْلَ سورةِ الحِجر، وأمّا ترتيبها النُّزولي فقد عدَّ السّيوطيُّ قبلَها سبعين سورةً[2]، وعدَّها بعضهم نازلةً بَعْدَ سورَةِ نوحٍ وقبلَ سورَة الأنبياء الثّانية والسّبعين في عِدادِ النُّزولِ[3].

وأمّا عددُ آياتها فاثنتان وخمسون آيةً في العدد الكوفيّ، وإحدى وخمسون في البصْريّ، وأربع وخمسون في المدنيّ والمكّيّ، وخمس وخمسون في الشّاميّ[4].

## ❁ أسماءُ السّورةِ ومناسبة التّسمية:

لم يُعرف لسورةِ إبراهيمَ غيرُ هذا الاسْمِ التّوقيفيِّ، وقد حاول أن يُقدِّمَ المَهايميّ تعليلًا لهذه التَّسميةِ، فقال: "سُمّيت به لاشتمالها على دعواتٍ لإبراهيمَ ﷺ تمتُّ بهذه الملّةِ كالحُجج، وجعْلِ الكعبةِ قبلةَ الصّلاة مع الدّلالة على عظمتِها بحيث صارت منَ المطالب المهمّةِ للمتّفقِ على غاية كمالِ إبراهيم ﷺ، وعلى نبوّة نبيِّنا عليه أكملُ التّحيّات وأفضلُ التّسليمات مع غاية كمالِه"[5]، وهذا ظاهرٌ في التّسميةِ، ولكنّه لا ينهضُ أن يكونَ السّببَ القطعيَّ لذلك، فقد ورد اسمُ إبراهيمَ ﷺ في سورة البقرة نحو خمس عشرة مرّة ولم تُسمّ باسْمِه!.

والذي يظهرُ أنّ تسميةَ هذه السّورة باسم إبراهيمَ ﷺ إنّما جاء لارتباطه بمحورِها

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/503، والشوكاني، فتح القدير: 3/111، ودروزة، التفسير الحديث: 5/213، وطنطاوي، التّفسير الوسيط: 7/505.

(2) السيوطي، الاتقان: 1/43.

(3) دروزة، التّفسير الحديث: 5/213.

(4) الداني، البيان في عدّ الآي، ص: 177.

(5) المهايمي، تبصير الرّحمن وتيسير المنّان: 1/386.

العامِّ المتعلّقِ بدور دعوةِ إبراهيم ﷺ إلى الله في تحقيق الأمنِ الذي هو أصلُ النِّعَم المحسوسةِ، والتَّوحيدِ الذي هو أصلُ النِّعَم المعنويّةِ، فإبراهيمُ ﷺ قد ربطَ في دعائه بين هذين الأمرَين، الأمنِ والتَّوحيدِ، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35].

وإذا كانت هذه السّورةُ قد تناولت في محورِها العامِّ الحديثَ عن شُكرِ النِّعم وجحودِها؛ فإنّ إبراهيمَ ﷺ هو رائدُ هذا الشّكرِ، فقد ربطَ في دعائه بين طلبِ الرّزق مِنَ الثّمرات للبلد الحرامِ وبين الغايةِ من ذلك فقال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: 37]، وقال تعالى في وصفه: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: 121].

وخلاصةُ الأمرِ أنَّ تسميةَ السّورةِ باسم إبراهيمَ ﷺ إنَّما كان لربْطِ موضوعِ السّورةِ بأبرزِ خصائصِ أبي الأنبياء وهو الدُّعاءُ للنّاس بإنزال الأمنِ، واجتنابِ الشِّرك، وشُكْرِ الله على نِعمه وآلائه، فالتَّسميةُ لم تكن بالاسم العلَمِ، بل بما ارتبطَ به هذا النّبيُّ من معانٍ نبَّهت عليها السّورةُ، فهي تسميةٌ متعلِّقةٌ بخصائصِ صاحبِ الاسمِ لا بالاسمِ المجرَّدِ.

### ❁ المِحورُ الذي تدور حولَه موضوعاتُ السّورةِ:

يقول البقاعيُّ: "مقصودُ السّورةِ التّوحيدُ، وبيانُ أنّ هذا الكتابَ غايةُ البلاغِ إلى الله؛ لأنّه كافلٌ ببيانِ الصّراط الدّالِّ عليه المُؤدّي إليه، ناقلٌ - بما فيه مِنَ الأسرار - للخلْقِ من طورٍ إلى طورٍ بما يشيرُ إليه حرف الرّاء، وأدلُّ ما فيها على هذا المرامِ قصّةُ إبراهيمَ ﷺ، أمّا التّوحيدُ فواضحٌ، وأمّا أمرُ الكتاب فلأنّه من جملة دعائه لذرّيته الذين أسكنَهم عند البيت المحرّم من ذرّية إسماعيلَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 129]"[1].

إنّ النّاظرَ في موضوعات السّورةِ وعلاقاتِها الدّاخليّةِ والخارجيّةِ مع السّور المُجاورةِ يجدُ أنّ محورَ هذه السّورة الذي يُميّزها عَنْ غيرها مِنَ السّورِ المكّيّةِ تناولها دورَ الدّعوةِ إلى الله في تحقيق الأمنِ والتّوحيدِ، ودورَ الصّراعِ الأزليِّ بين الحقِّ والباطلِ الّذي يواجهُها في سبيل تحقيقِ ذلك، مُتناولةً المنهجَ التّربويَّ السّليمَ في مواجهة هذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/369.

الصّراعِ، و"في السورة تقريرٌ لمهمّةِ النّبيّ، وحمْلةٌ على كفّار العربِ وخاصّة زعماءهم، وتذكيرٌ ببعض الرّسلِ السّابقين ومواقفِ أُمَمِهم منهم، وإنذارٌ بالمصائرِ السّيّئة التي صاروا إليها وتقريرُ كوْنِ الإيمان هو أساسُ كلِّ عملٍ صالحٍ وطريقٍ قويمٍ وكونِ الكفر هو مُحبطٌ لكلّ عملٍ ومورِدٌ للهلاك، وتنديدٌ بما انطبعَ عليه النّاسُ منَ الكفرِ والجحودِ لنعمِ اللّه وحكايةٌ لمناجاةِ إبراهيمَ ربَّه وحملتِه على الأصنام وتقريعٌ صارمٌ للظالمين في معرضِ تثبيتِ النّبيّ وتطْمينِه"[1].

فقد تقرّرَ ذلك بكلّ وضوحٍ في الآيتيْن الأولى والأخيرة منَ السّورة في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: 1]، وقولِه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: 52]، فقد تناولتْ هاتان الآيتان أركانَ الدّعوة الرّئيسةَ وهي: الدّاعي، متمثّلا في حالة الرّسل ﷺ، وهم مُمثَّلين بشخصِ النّبيّ محمّدٍ ﷺ، والمدعوّ؛ وهمُ النّاس جميعًا، والمَدْعو إليه وهو صراطُ العزيز الحميدِ، ومادّةُ الدّعوة أو مقصودُها وهو إخراجُ النّاس منَ الظّلمات إلى النّور ليوحّدوا اللّه ﷻ، ووسائلُ الدّعوةِ من هداية النّاسِ، واستعمالُ التّرغيب والتّرهيب والتّذكيرِ، وتناولت هاتان الآيتان الإشارةَ إلى الصّراع الذي يرافق ذلك والذي يُعوزُ الرّسلَ فيه إلى الإنذار أوِ التّبشير.

### الخصائصُ الموضوعيّةُ:

وتناولتِ السّورةُ الكريمةُ في سبيل تحقيق محورِها مواقفَ النّاس من هذه الدّعوة وانقسامَهم في شأنها إلى مؤمنين وكافرين، ظالمين ومُستكبرين ومستضعَفين، وأتباعًا ومُتّبعين.

وفصّلتِ السّورةُ كذلك وسائلَ الدّعوة في كتابَي اللّه: الكونِ المنظورِ، والكتابِ المسطورِ، فعرضت آياتُ اللّه في الأنفس والآفاقِ، وعرضت هداياتِ الرّسلِ وكُتبَهم إلى أقوامِهم، متناولةً صفاتِ هؤلاء الرّسلِ ومهمّاتِهم، ووسائلَهم العقليّةَ والعاطفيّةَ في إثبات الحقّ ونفْيِ الشّبهات بما يلائمُ حالَ المَدعوّين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾، وقولُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾،

(1) دروزة، التفسير الحديث: 5/213.

وقولُه: ﴿۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [إبراهيم: 10]، وقولُه على لسانهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم: 12].

واستعملتِ السّورةُ في سبيل تحقيقِ الدّعوةِ أساليبَ متنوّعةً منها: التّرغيبُ والتّرهيبُ، والخبرُ والإنشاءُ، والقصصُ، وضربُ الأمثال، وركّزت كثيرًا على التّذكير بالنّعم وشُكرِها، والتّحذيرِ من جحود هذه النّعمِ ونُكرانِها.

وتحدّثتِ السّورةُ عنِ الدّعوة من خلال بيان العقبات التي تقفُ في طريقها، أو أسبابِ إعراض النّاسِ عنها: من إيثارٍ للدّنيا، واختلالٍ في الموازين، وتبعيّةٍ عمياءَ، وبيّنتِ السّورةُ كذلك بعضَ أساليب المُنكرين للدّعوة من تشكيكٍ وصدٍّ وسُخريةٍ وتهديدٍ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾ [إبراهيم: 13].

وعرضتِ السّورةُ في أثناء ذلك كلِّه نماذجَ منَ دعوة الأنبياء ﷺ، من خلال قِصّتَيْ موسى وإبراهيم ﷺ والإشارةِ إلى بقيّة الأنبياء، وهو ما ورد في الآية رقم 9.

وبيّنتِ السّورةُ في تقريرها لمَحورِها الذي قامت عليه أثرُ الاستجابةِ لدعوةِ الأنبياء في تحقيقِ الأمن والتّوحيدِ من خلال دعوةِ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ ﷺ، والواردة في أواخر السورة في الآيات (35–41).

وأخيرًا عرضتِ السّورةُ ثمرةَ هذه الدّعوةِ، فبيّنت جزاءَ الفريقيْن: المؤمنِ والكافرِ في الدّنيا والآخرة، وبيّنت جزاءَ الشيطان وأتباعِه منَ المُستكبرين والمُستضعَفين، فالمُستجيبون للدّعوة يَجدون في الدّنيا رغدَ العيشِ وديمومةَ النِّعم، وأمّا المُعرضون عنها فيقاسون مرارةَ زوالِ النّعم وسنّةِ الاستبدالِ وتغيّرِ الأحوالِ، وأمّا في الآخرة فقد بيّنتِ السّورةُ حالَ الفريقَيْن، وهو ما ورد في الآيات (49 – 51) والآية (23).

وتناولتِ الحديثَ عن نِعم الله في الإرشاد، والإيجادِ، والإمدادِ في إزاء المُنكرين لها، إذ كثرت في السّورة ألفاظُ النِّعم والشّكرِ ومقارباتُها، وأضدادُها كالكفر وغيره، وكثرت فيها الآياتُ الّتي تذكّرُ بهذه النّعم في الأنفسِ والآفاق، كما في الآيات (5– 7)، والآيات (28– 29)، والآيات (32– 34، 37).

وتفرّدتِ السّورةُ بحديثها عن أنّ إرسالَ الرّسلِ كان بلُغاتِ أقوامهم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾، وهذه إشارةٌ تاريخيَّةٌ مُنسابةٌ في سورةٍ حملت اسمَ إبراهيمَ عليه السلام، وفيها تَسليةُ الرّسولِ ﷺ عمّا لقيه من مُشركي قريش، تارةً عن طريق ما لقيه الأنبياءُ السّابقون من أقوامهم، وتارةً عن طريق بيانِ أنّ العاقبةَ للمتّقين.

وتفرّدتِ السّورةُ بمشاهدَ حِواريّةٍ بين المُستكبرين والمُستضعَفين في الآخرة، وفي خطبة إبليسَ في أتباعه في ذلك الموقف العظيم، وذلك في الآيات (21- 22).

وتفرّدتِ السّورةُ بالحديث عنِ الاستبدال بأنواعِه كافّةً، سواءٌ أكان إيجابيًّا أم سلبيًّا، للأفضلِ أم للأسوأ كما في الآيات: (1، 7، 13، 14، 28، 48).

**الخصائصُ الأسلوبية:**

هناك العديدُ منَ الأساليب والقضايا اللّغويّةِ التي ميّزت هذه السّورةَ عن غيرها منَ السّور وإن شاركتْها في بعض السّماتِ ومنها:

أوّلاً: بروزُ ظاهرةِ التّقابلِ والتّضادِّ الثّنائيّةُ التي حفلت بها السّورةُ من أوّلها إلى آخرها، في كلّ مقطعٍ، بل في كلّ آية منها تجدُ الثّنائيّاتِ الضّديّةَ المتقابلةَ في جنباتِها، من مثلِ تقابلِ الهدايةِ مع الضّلالِ، والشّكرِ مع الكفرِ، والوعدِ مع الوعيد، والمُستكبرين مع المستضعَفين، والكلمةِ الطّيبة مع الخبيثةِ، والتّثبيتِ مع الإبدال، والسّرِّ مع العلانيّة، والاتّباعِ مع العصيان، والإيمانِ مع الشكّ، و﴿صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ مع ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾، و﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾ [إبراهيم: 13] مع ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ﴾ [إبراهيم: 14]، و﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم: 6] مع ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ﴾ [إبراهيم: 6]، و﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [إبراهيم: 17] مع ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۚ﴾ [إبراهيم: 17]، و﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: 17] مع ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: 17]، و﴿وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22] مع ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 22]، و﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ [إبراهيم: 22] مع ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ [إبراهيم: 22]، فضلًا عنِ التّقابلاتِ المشهورةِ في القرآنِ من مثلِ التّقابلِ بين السّماء والأرض، واللّيل والنّهار، والإخفاءِ والعلنِ، والظّلماتِ والنّورِ، والجزعِ والصّبر، وغيرها.

ثانيًا: تفرّدتِ السّورةُ بأمثلةٍ وتشبيهاتٍ وصورٍ بيانيّةٍ لم ترِدْ في غيرها من السّور، مثلَ تشبيه أعمال الكافرين بالرّمادِ، وتشبيه الكلمة الطّيبةِ بالشّجرة الطّيبةِ، والكلمة الخبيثةِ بالشّجرة الخبيثةِ.

ثالثًا: تفرّدت سورةُ إبراهيم عن غيرها منَ السّورِ باشتقاقاتٍ وصيغٍ لم ترِدْ إلّا في هذه السّورة، ومن تلك الألفاظ: ﴿ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم: 24]، و﴿دَآبِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33]، و﴿ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: 28]، و﴿أَضْلَلْنَ﴾ [إبراهيم: 36]، و﴿تَشْخَصُ﴾ [إبراهيم: 42]، و﴿خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: 26]، و﴿زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: 44]، و﴿قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: 50]، و﴿مُقْنِعِي﴾ [إبراهيم: 43]، و﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: 22]، و﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: 22]، وغيرُها كثيرٌ، وحظيتِ السّورةُ الكريمةُ كذلك بألفاظٍ تفرّدت بها عن غيرها منَ السّور من جهة الجَذرِ والمادّة؛ وهذه الألفاظُ هي: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: 17] و﴿كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: 18] و﴿وَفَرْعُهَا﴾ [إبراهيم: 24] و﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم: 26]، وإنّ الجامعَ لهذه الألفاظِ التي تفرّدت بها السّورةُ أنّها ذاتُ اتّصال مباشرٍ بمحورِ السّورة القائم على بيان أثرِ الدّعوة في تحقيقِ الأمن والتّوحيدِ، وأنّ الكفرَ بهذه الدّعوةِ مُؤْذِنٌ بزوال الأمنِ وخرابِ العُمران.

## المناسبةُ بين سورتي الرّعدِ وإبراهيمَ:

أوّلاً: ذكرَ سُبحانه في السّورتَين أنّه أنزل القرآنُ حُكمًا عربيًّا، ولم يُصرّحْ بحِكمةِ ذلك في الرّعد وصرّح بها في سورة إبراهيمَ.

ثانيًا: اتَّفقتِ السّورتان على أنَّ أمرَ المُعجزاتِ متوقِّفٌ على إذن الله تعالى، ففي سورة الرّعد ذكرَ قولَه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 38]، وفي سورة إبراهيم ذكرَ أنّ الرّسل قالوا: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: 11].

ثالثًا: ذكرَ في سورة الرّعد أمرَه ﷺ بالتّوكّل على الله، وفي إبراهيم حكى عن إخوانه المُرسلين أمْرَهم بالتّوكّل عليه جلَّ شأنُه.

رابعًا: اشتملت سورةُ الرّعد على تمثيل الحقّ والباطلِ، واشتملت سورة إبراهيمَ على ذلك أيضًا.

خامسًا: ذكرَ في سورة الرّعد رفْعَ السماء بغير عمد ومدَّ الأرضِ، وتسخيرَ الشّمس والقمرِ، وذكرَ في إبراهيم نحوَ ذلك.

سادسًا: ذكرَ في الرّعد مكرَ الكفّار وذكرَ مثلَه في إبراهيمَ، وذكر مِن وصْفِه ما لم يذكرْ هناك[1].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 13/122.

سابعًا: قولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ جوابُ الكافرين على هذا الكتابِ الذي جاءهمُ النّبيّ ﷺ به، والذي هو الحقُّ الذي أُنزل إليه من ربّه، وقولُه تعالى في أول سورة إبراهيم - بعد هذه السورة -: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ ردٌّ على جواب هؤلاء الكافرين، وردعٌ لهم، وأنّهم لم يخرجوا منَ الظلمات إلى النّور، ولم يأذنِ اللّه لهم بالخروج من تلك الظّلماتِ[1].

والحقُّ أنّ سورةَ إبراهيم قد أكملتْ صراعَ الحقّ مع الباطل الّذي شرعَتْه سورةُ الرّعد، من خلال بيانِ كفاحِ الأنبياء مع أقوامهم، وما آلَ إليه حالُ تلك الأقوام، وعرضتِ السّورةُ الكريمةُ مشاهدَ من أحداث اليوم الآخرِ تبيّنُ عاقبةَ هذا الصّراع الطّويلِ بين الحقّ وأهلِ الباطل، وكيف يتبرّأُ الباطلُ من نفسه وأعوانِه، فكأنّ السّورةَ الكريمةَ قد أجملت موجزَ هذه الرّحلةِ الطّويلةِ للأنبياء عليهم السلام مُمثّلين بإبراهيمَ عليه السلام جدِّ الأنبياء جميعًا وانتهاءً بخاتمِ النّبيّين ﷺ، فهي رحلةُ التّدافعِ الكونيِّ والصّراعِ الأزليِّ بين الحقّ والباطلِ، حتّى يُزهقَ الحقُّ الباطلَ ويظهرَ أمرُ اللّه.

### المناسبةُ بين سورتَيْ إبراهيمَ والحجرِ:

أوّلاً: جاء في آخر سورةِ إبراهيمَ قولُه تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم: 52] وجاء في أوّل سورة الحِجر ما يبيّنُ طبيعةَ هذا الإنذار: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ [الحجر: 1]، فكأنَّ الإشارةَ عادت على البلاغ المذكورِ في آخر سورةِ إبراهيم.

ثانيًا: ذكر تعالى في خواتيم سورة إبراهيمَ عاقبةَ الظالمين فقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠﴾ [إبراهيم: 49 - 50]، وقال في بداية سورة الحِجر: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحجر: 2]، فهذه الودادةُ إنّما تكونُ يومَ القيامة عندما يَرون العذابَ ويرون نجاةَ المسلمين وفوزَهم بالجنّة.

ثالثًا: قال ﷻ في خواتيم سورة إبراهيمَ في شأن الظّالمين: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/144.

أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ [إبراهيم: 44]، وقال في بداية سورة الحِجر: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر: 3]، فالذين في سورة إبراهيمَ ألهاهمُ الأملُ حتى ظنّوا أنّهم لا يزولون عن هذه الدنيا وإنّما هم خالدون فيها.

وجاء في تفسير البحر المحيط في أوّل سورة الحِجر: "ومُناسبَتُها لِما قبْلَها: أنَّهُ تعالى لَمّا ذَكَرَ في آخِرِ السّورَةِ قبلَها أشْياء مِنْ أحْوالِ القيامَةِ مِنْ تبديلِ السّماواتِ والأرْضِ، وأحْوالِ الكُفّارِ في ذلك اليَوْمِ، وأنَّ ما أتَى به هو على حَسَبِ التَّبْليغِ والإنْذارِ، ابْتَدَأ في هذه السّورَةِ بِذِكْرِ القُرْآنِ الذي هو بَلاغٌ لِلنّاسِ، وأحْوالِ الكَفَرَةِ، ووِدادَتِهم لَوْ كانوا مُسْلِمينَ"[1].

والحقُّ أنّ كلتا السّورتَيْن يكمّلُ بعضُها بعضًا؛ فسورةُ الحِجر بيّنت أيضًا انقسامَ النّاسِ في شأن هذه الدّعوةِ، وبيّنت حالَ كلِّ فريقٍ، وعرضت لبعضِ آياتِ الله في الكونِ الدّالّة على وحدانيّته وكمالِه، وتناولت جانبًا قصَصيًّا من حياة بعضِ الأنبياء بدْءًا من آدمَ أبي الأنبياءِ عليه السلام، ومرورًا بإبراهيمَ عليه السلام وما جرى مع ضيوفِه وبُشراه بالولدِ، وكذلك جانبًا من قصّةِ لوطٍ عليه السلام، وكذلك قصّتَيْ أصحابِ الأيكةِ وأصحابِ الحِجر، فقد فصّلت سورةُ الحِجر ما أوجزَ في سورة إبراهيمَ من وسائلِ غوايةِ إبليسَ لآدم وذرّيتِه، وحوت في آخرها وصايا للنّبيّ ﷺ تَصلحُ أن تكونَ قواعدَ للدّعوة في كلّ زمان ومكانٍ، فقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 94 - 99].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/463 - 464.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»